الفنان التشكيلي المغربي محمد لمليحي..
تموجات جمالية

ابراهيم الحيسن

اطبع هذه الصفحة

" إن حب لمليحي للون يكون غنيا
عندما يعود المرء إلى الفنون الشعبية في المغرب "
محمد القاسمي(1)

محمد لمليحي-المولود بأصيلة في 22 نونبرعام 1936 - واحد من التشكيليين المبدعين المغاربة القلائل الذين أثروا المشهد التشكيلي الوطني منذ إشراقاته الأولى بحكم تعدد معارضه وحضوره القوي داخل المغرب وخارجه ..

إرتبط اسمه بموسم أصيلة الثقافي خصوصا في أنشطته الفنية وبجمعية المحيط التي يعود لها الفضل في تأسيس ثقافة جمالية بالمدينة ..

يمكن تصنيف أعمال الفنان محمد لمليحي ، ضمن الصباغة الجمالية المتسمة غالبا بإرسالياتها الاستتيقية التي تتألف وفق نمط صباغي مسطح أحادي البعد .. والتي تعد امتدادا طبيعيا لتجربتين إبداعيتين ميزتا بداية المشوار التشكيلي للفنان لمليحي: التجربة الإيطالية المتسمة بإلصاقات)كولاج(تغلب عليها الألوان الرمادية والكحلية / أواخر الخمسينات, وتجربة نيويورك التي عكست تأثره الفن البصري/ الأوب آرت والفن الاختزالي والحركي- Cinétique الذي ميز الإبداع التشكيلي العالمي في ذلك الوقت..

ومن ثم, يمكن اعتبار أعمال الفنان محمد لمليحي" حاضرة تبيح مرحلة استكشافية نقدية متواصلة عن تحقيق وتقديم مفاهيم ثقافية, بحيث توجد نقاط إرساء تتصدر نمو وتطور اللوحات, كما أن هناك " الهارد إدج" , وهو حركة فنية أمريكية تعبر عن رسومات أولية معدة بألوان بسيطة وغالبا بدائية, كما أنجزها إلسورت كيلي, وقبله بمدة, يجدر بنا ذكر بييت موندريان الذي كتب " أن كل شيء يتكون من علاقة وتقابل ". أما المسألة الأخرى, فقد تكون تجريدا هندجسيا تتجدد فيه الأشكال داخل اللوحة فتنبثق بديهيات جديدة دون تحطيم وحدة المجموعة. وعلى كل, فإن محمد لمليحي استفاد من تجربة وتعليم جوزيف ألبيرس في لباوهاوس وبلاك مونطان كوليدج لا سيما في ما يخص سلطة اللون إزاء العين والذهن) جان بيير فان تيغم/ عن الجمعية الدولية لنقاد الفن- AICA- أصيلة/ بروكسيل- ترجمة : تريا إقبال (..

داخل هذا السياق ، تبرز القطع الفنية التي يوقعها الفنان مكونة من مفردات جمالية منسجمة (الخطوط والأشكال المتموجة ، الألوان التزيينية المسطحة ..) يتم وضعها داخل مساحات متجاورة ومتماسكة تجمع بينها وحدة الفكرة والموضوع..

وقد يقول قائل بأن هذه القطع يغيب فيها الموضوع وأن ظهر فإنه يمثل تكرارا لمواضيع مماثلة .. الموضوع – خلافا لذلك – كائن وموجود لكنه لا يظهر سوى في شكل تكاوين وتراكيب هندسية جمالية لازمت الفنان منذ مطلع الستينات (مشاهد طبيعية ، بيئة بحرية ، الموجة ، الشعلة ، اللهب ..) تقررها لغة تشكيلية ولونية يستدعي فهمها البحث في دلالة الألوان والتفاعل بصريا مع الأسئلة (المرئية واللامرئية) التي تطرحها الطريقة المتبعة في تشكيل فضاء اللوحة .. موضوع اللوحة ..ما دام الفنان –كما ظل يردد- يرسم كعالم رياضيات وكعالم نبات وكفلكي, يبذل جهودا منظمة بمعية دماغه..(2)

في هذا الصدد ، يقول الناقد التشكيلي اللبناني أسعد عرابي : "تعكس هندسات لمليحي طبائع نبضاته ، خلجات شهيقه وزفيره وعروقه، حتى لتبدو وكأنها هندسات للروح رغم أنها أنجزت بالمسطرة والفرجار " ..

إنه ملون تجريدي اتخذ من الألوان الحرة الداخلية في بناء الشكل الفني صياغة معمارية تشكل جزءا من مشكلة " الدائرة " فلسفيا " الفضاء " الكوني المستعصي حله , الفكر المنبر المتوقد الذهن, الحاد الحساسية حركة الريح, حركة الغيوم, حركة النجوم في منظوماتها, والسدون في معارجها, هذا الأفق الذهبي, وراءه عقل منظم يسعى إلى تنظيم ما يحيطه وهذا النظام الذي يفضحه اللون وحده والحركة ذاتها فيه يشير إلى رجوع صراع بين قيم الأشياء وبهائها وبين سيمياء اللاشعور

وبين ألغاز المطلق, تسبح مفردات لمليحي أيضا في " الفراغ " كقيمة تشكيلية لها ضغطها على المشكلة الجمالية والثقافية معا يستمد مقوماتها من الموروث الشعبي لها, فهو يسعى إلى " الجدار" كما سعى " نامايو"..لأن فيه عودة الفن لأصوله الشعبية, ولكن برؤية وفلسفة وجمالية ونظام آخر يسعى إلى التطابق مع حاجات المجتمع الذي انسلخت عن قيمه هذه الخلاصات..(3)

في أعمال الفنان محمد لمليحي شعرية وشاعرية بصرية خاصة ناتجة عن توظيفات وتخليقات حسية أكثر منها مرئية .. ووجدانية متحركة وفق ريتمات متدرجة محسوبة ظهرت أكثر خصوصا بعد عودة الفنان من نيويورك إلى المغرب (الانفتاح تجريديا على الطبيعة) حيث أصبحنا نرى في أعماله الفنية مشاهد طبيعية تجريدية فيها نفس رومانسي وتكونها مفردات تعبيرية جديدة كالهلال والليل والنجوم ..

ومن منظور كون اللوحة تمثل ، عموما ، مرآة عاكسة لشخصية الفنان ، تقول الناقدة والمؤرخة في الفن فاتن صفي الدين متحدثة عن زوجها السابق محمد لمليحي : " لوحات لمليحي تحكي لناظرها شخصية هذا الفنان الذي تتجاذبه وتجذبه الأضداد على اختلافها: الحرية والانضباط ، الواقعية والشاعرية ، التشبث بالتراث والانفتاح على العصر ، ويبقى لمليحي في خضم هذا المد والجزر وفيا أبدا لذاته ولبحثه الدائم عن سر الجمال والكمال " .. وتضيف: " وما الموجة, أو التموجات الخطية, التي لازمت أعمال الفنان لمليحي منذ بزوغها في أوائل الستينات, والتي أصبحت توقيعه الفني المميز, إلا شكل تجريدي ذو دلالات رمزية أو إيحائية لمعادلة واحدة.. معادلة تتلخص في خلاصة رؤى الفنان للعالم. فالموجة عند لمليحي هي البحر, هي الطفولة على شاطىء المحيطفي منشأ رأسه أصيلة. الموجة هي السفر والعودة, هي الشهوة والمرأة, هي الحياة, هي الوصل والفصل, هي المد والجزر, هي حكمة الدهر, هي الإيقاع والنظم, هي السكينة والزخم, هي السيولة والليونة, هي السطح/ المرآة, هي الصمت/ الأعماق, هي الأثر المرئي لحركات النفس وتنفسات الجسد, هي الشيء وضده..هي الحياة..")4 (

ففن محمد لمليحي, يعد فنا وصفيا يشكل- كما يقول د.خليل لمرابط- نقطة الالتقاء للصرامة الدقيقة والتركيبات العقلانية, والنظام الهندسي والفضاء والقوس المصورين في محيطهما الساكنين.. فهو مؤلف من تكرار السطوح الملساء وأحادية اللون والمحددة جيدا.. هذه السطوح الفارغة والمشكلة من تدرجات اللون الأزرق أو الألوان الصارخة الموحدة أو التركيبية, أو الإيقاع المتذبذب للأشكال الثنائية أو التوترات المعاكسة, أو لعبة المتضادات التكاملية..وكل هذا يخضع للتعرية المبرمجة لمسار فني مستقل ذي خصوصية..)5(

إجمالا ، يمكن القول بأن أعمال الفنان محمد لمليحي اتسمت باستعمال أشكال (فورم) متموجة (وملتوية) كحركة جمالية في الفراغ .. أو بالأحرى بتوظيف تصميمات وتكاوين هندسية وإشارات لونية مستعارة من مرجعيات شعبية فولكلورية دينامية , أهمها الموجة والأشكال المدورة التي تحيل على تضاريس جسد المرأة..ذلك أن التموج الملتهب ترميز لجسد المرأة.. المرأة المشتعلة, حيث الانحناءات ترسيم للنهد والردف..من ثم يبعث التمويج الخطي على البعد الشهواني, إذ تبقى المرأة من أهم الاهتمامات الجمالية عند الفنان لمليحي, كما يظهر ذلك بوضوح في لوحاته الموقعة في الفترة الممتدة بين 1995 و 1997, حيث تتألف العناصر والتلاوين لصالح التكوينات التي تفسح انسياب المنحنيات, وتعقلن ازدواجية أنصاف الدوائر ليكشف الكل على حدة الإيحاء الأنثوي عبر تراكيب الأشكال العضوية الواضحة والملتبسة في آن, كما يقول الناقد بنيونس عميروش..

هوامش:

1- دليل معرض الفنان محمد لمليحي المقام سنة 1975 بقاعة نظر بالدار البيضاء.
2- Propos cité par Lamalif - N°8 Mai 1977
3- شوكت الربيعي : الفن التشكيلي المعاصر فب الوطن العربي/ 1885-1985 مكتبة الفنون التشكيلية/ 21- مركز الشارقة للإبداع الفكري/ ص.84.
4- " النظام الشعري " عند محمد لمليحي- فاتن صفي الدين مرايا الرؤى/ في شأن بلاغة التشكيل / وقائع ندوة حول الشعرية البصرية إعداد وتحرير: د. يوسف عيدابي الطبعة الأولى 2001- دار الثقافة والإعلام- الشارقة/ ص.138و 139.
5- د.خليل لمرابط :/ مجموعة متعف العالم العربي- ص.193 التشكيلي

ابراهيم الحيـسن - ناقد تشكيلي من المغرب - elhaissanbrahim@yahoo.fr

14/7/2006

اطبع هذه الصفحة

ALTSHKEELY.com